مناقشات

رد على كلمة

بقلم يوسف الشاروني

في ندوة تليفزيونية اخيرة بالقاهرة سألتني السيدة المذيعة باعتباري قد مارست كتابة القصة والدراسة الادبية : أيهما تفضل ؟ فاجبت بلا تردد أنني أفضل كتابة القصة . وعللت ذلك بأن النقد ـ الى جانب انه لا يهبني نفس متعة الابداع التي أحسها حين أكتب القصة فاننا ما نزال في مجتمع ـ ادباؤه ـ حساسون للنقد حتى ولو كان موضوعيا . وكثير من الادباء يعتبرون النقد ـ اذا لم يكن مدحا لاعمالهم ولهم ان امكن ـ هجوما شخصيا عليهم يجب مقابلته بهجوم مضاد حتى ولو عن غير طريق القلم ، الامر الذي قد يصل الى حد الكراهية والعداء الشخصي والا ضاعت هيبتهم .

ولخصت رأيي في أن النقد عندنا غرم لا غنم فيه . فالقصة تنشر وتترجم الى أكثر من لغة وتحول الى تمثيلية اذاعية واخرى تليفزيونية وقد تتخذ مادة سينمائية وبمعنى آخر فأن جمهورها أعرض وزمانها أبقى . بينما المقال النقدي مجاله محدود ، ثم قد لا يسلم صاحبه ممن اهتم بهم وكتب عنهم ،بل من معاداة من يصمت عنهم ، فالصمت هنا يعتبر رأيا يؤاخذ عليه ، كأنما الحياة تتيح له ـ حتى لو أراد ـ الكتابة عن كل ما يتدفق به سيل المطبعة .

أذكر هذا الحديث بمناسبة ما قرأته في عدد اكتوبر (تشرين الاول) الماضي للقاص الاستاذ نواف ابو الهيجاء ردا على ما كتبته عن قصته « الدوائر الخمس» في مقالي « قرأت العدد الماضي من الآداب » المنشور في العدد الاسبق . وملخص قوله انه يعترف بي قاصا ولا يعترف بي ناقد قصة ، وكنت أحب للاستاذ نواف ان يعلن هذا الرأي قبل ذلك ـ فلي أربعة مؤلفات في الدراسات الادبية ـ كان يستطيع ان يقول رأيه فيّ كناقد بمناسبة قراءته احدى هذه الدراسات،وذلك حتى اعفيه من الحرج الواضح حين يعلن انني لست ناقد قصة بمناسبة تعرضي لاحدى قصصه . الامر الذي لم استبحه لنفسي حين كتبت عن قصته ، فلم أعلن رأيي في « نواف ابو الهيجاء » القاص بل قصرت رأيي على قصة « الدوائر الخمس » .

والواقع انني حين كتبت مقالي ـ وفي ضوء خبراتي السابقة ـ كنت أتوقع اكثر من رد . ومع ذلك فقد رأيت ان المجاملة اخطر من الصراحة ، والصراحة قد تؤلم ولكنها تخلص . وفي رأيي دائما ان الفنان المخلص لنفسه لا يخرس الاصوات التي تبدي رأيها في عمله حتى ولو كانت تعارضه ما دام هو على يقين أنها لا تصدر عن سبب شخصي . وأحب ان اصارح الاستاذ نواف انني طوال حياتي القصصية التي تمتد الى اكثر من عشرين عاما لم يحدث ان رددت على ناقد لم تعجبه احدى قصصي . كنت دائما أقول : لا بد ان شيئا في عملي منعه عن الوصول اليّ كما كنت أود ، في المرة القادمة سأحاول ان أقدم عملا أفضل . وقد أرفض الملاحظات وقد اتقبلها او أتقبل بعضها لكني لا أعلنها حربا على أديب امسك قلمه وشغل وقته ـ حتى ولو كانت هذه هي مهمته ـ بعمل لي . واذا كان الاستاذ نواف يرى ـ مشكورا ـ انني قاص من أعظم قصاصينا العرب ، فان أحد اسباب ذلك يرجع في رأيي الى انني لم أخلع في يوم ما ناقدا عن عرشه لان احدى قصصي لم تعجبه ،بل على العكس من ذلك كنت أحاول الاستفادة من رأيه ،حتى ولو رأيت ان هذا الرأي ضحل او ان صاحبه لم يفهمني، فهذا واحد من جمهوري الذي كتبت له ،ولن أصل اليه بالرغم منه ، أو بمجرد استبعاده من دائرة النقاد او الذين اكتب لهم او بالاستعانة عليه بناقد آخر يشرح له عملي ..

ولقد علمتني دراساتي الادبية والنقدية ان العمل الفني الجيد يخصب ذهن الناقد ويفتح امامه آفاقا لا يتيحها له عمل أدبي أقل مستوى . بل أن العمل الفني الجيد يفرض نفسه على الناقد ،وامامنا، تاريخ النقد الادبي حافل بأعمال ادبية عظمى تتلمذ عليها النقاد وكانت الهاما لقواعد جديدة تخالف القواعد التقليدية السابقة .بينما امام الاعمال الادبية التقليدية يمارس الناقد استاذيته دون ان تلهمه جديدا في ميدانه النقدي ، بل كثيرا ما لا يجد ما يقوله فيصمت عنها تماما .

وختاما فانه يؤسفني انه لم يسبق لي أن قرأت للاستاذ نواف مع كثرة ما نشر ، ولعل الفرصة لا تتاح لي مستقبلا لقراءته ـ لا للحكم عليه ـ بل للاستمتاع بنشوة الابداع التي يقدمها لقرائه .

يوسف الشاروني

تعقيبات

بقلم الدكتور كمال نشأت

١ ـ في عدد « ايلول » الماضي مقال بعنوان (مع رواد الشعر الحر) للاستاذ عبد الله الطنطاوي ، حاول فيه ان يصل الى الرائد الذي كتب قصيدة « التفعيلة » ، وقد ذكرني ضمن المقال وذكر كتابي (ابو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث) حينما قال :

« ومع شيء من التحفظ يمكن ان نستسيغ كلام الدكتور كمال نشأت عن النماذج التي وردت عند أبي شادي وشيبوب ، اذ يقول :

« وليس من شك في ان هذه الخطوات الرائدة هي التي وضعت أسس حركة الشعر الحر التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية .. » والسبب في هذا التحفظ هو ان الدكتور أبا شادي كان يمزج بين

زهرة من دم

مسرحية في ثلاثة فصول

تأليف الدكتور

سهيل ادريس

منشورات دار الكاتب العربي ـ القاهرة

البحور ـ كما بينا ـ ويستخدم البحور المزدوجة غير الصافية مع تحلله التام من القافية في شعر غنائي .. »

ولست ادري سببا لتحفظ الاستاذ الطنطاوي ، فانا لـــم أقل ان أبا شادي او شيبوب هو الذي كتب النموذج الاول لقصيدة «التفعيلة» والا لكان الامر منتهيا ولعرفنا رائد هذه الحركة الشعرية ، ولكنني قلت ان (مجمع البحور) الذي كتب نماذجه ابو شادي وبعده شيبوب وهو كتابة القصيدة الواحدة من بحور مختلفة وضع « اسس » حركة الشعر الحر .. بمعنى انه وضع « الارضية » لهذه الحركة ، فقد لفت نظـــر الشعراء الى انه من الممكن الخروج على الشكل التقليدي الذي اكتسب قداسة عبر الاجيال ، ولولا عبد الرحمن شكري وابـــو شادي والمازنـــي وابو حديد وشيبوب ومحاولاتهم الخروج علـــى الشكل القديم سواء بكتابة القصيدة مطلقة القافية او منوعة البحور ما نبت في ذهن شاعـر كعلي باكثير ان في الاستطاعة تكوين شكل جديد من نفس البحر العربي القديم ويؤكد ذلك معرفتنا ان باكثير كان على صلة بجماعة ابولو وكان ينشر شعرا في مجلتها . والريادة التي ننسبها الى ابي شادي في هذا المجال لا نقصد بها الا هذا المعنى ، وهو اعطاء النموذج المتمرد علـــى الشكل القديم مهما كان شكل هذا التمرد ، لان هذا النموذج يكسر اولا هالة القداسة وينبه الاذهان ثانيا الى امكان خلق اشكال جديدة ، وما أظن ان باكثير كان قادرا على خلق هذا الشكل الجديد لو لم يعش في مناخ وجدت فيه هذه المحاولات التجديدية ، ولذلك قلت فـــي كتابـي السابق ان أسس هذه الحركة وارهاصاتها ولدت في مصر .

ولعل الاستاذ الطنطاوي بعد هذا التوضيح يطمئن بالا و «يستسيغ كلامي دون تحفظ » .

٢ ـ يبدو لي ان الشعر يعاني في هذه الايام ازمة مواهب ، فان كثرة مما نقرأه منه في المجلات الادبية لا ترقى الى مستوى النشر فيها. فكرتني بذلك سطور نشرت في نفس العدد (ايلـــول) لمواطن سوري اسمه (نبيه الشعار) من (قطنا) . يقول المواطن القطني في مطلـــع سطوره :

وطني يزرعني في ردف العالم شامه
يتزوجني في بغداد .. يطلقني في المغرب
يفتح في نوافذه .. يطليني باللون الازرق
يثمرني شوكـا
أتقبلـه
أعطيه الخبز .. الحب .. فينهق !

انك تقف كقاريء لتفهم او تتذوق او تتحسس او قل ما تشاء من هذه الالفاظ التي تدل على انك تود الاقتراب من هـــذه السطور فـــلا تستطيع .. فلا فكرة ولا معنى ولا عاطفة ولا رمـــز ـ ان كان يستعمل الرموز ـ ولا صياغة ولا ايقاع ، ولا شيء على الاطلاق من الاشياء التي تجعل الشعر شعرا ، ولكنك قطعا ستجد صورا مضحكة لانـــه شعـــر (فبركه) مثل الشامة على « مؤخرة » العالم .. والوطن الذي يطلـــي ابنه باللون الازرق (ولماذا الازرق ؟ لا تـــدري) والزواج فـــي بغداد والطلاق في المغرب .. ولكن كل هذا مقبول على شذوذه اذا قارنـــاه بالسطر التالي الذي يقول فيه عن وطنه :

أعطيه الخبز .. الحب .. فينهق

ولست اظن ان وطنك العربي ايها المواطن القطني حمار ينهق .. ولكن الذي اعتقده ان العكس صحيح .. فالوطن هـــو الذي يعطيك الخبز والحب ف ....

هل هذا هو التجديد في المضمون يا شعراء الهلوسة والبهلوانيات؟

بغـداد — د. كمال نشأت

رحلة

كنت على طرف الثوب الليلي
ابحث في الرمل الاسود عن نجمه
عن وجه اخفته غيمه
في أفق صيفيٍّ
حين تسللنا نحو الجبل الفارق بالضجر
وتلونا سور العينين
حين تدافعنا نحو الشمس
كي نمسك خيطا من تبر
يتهاوى في ثغر البحر
كانت زرقتنا كالجمر
كانت مرآة تعكس الوان الحلم الامثل
في غابة زيتون مهمل
يمناك تدانت من ضعفي
انزلقت تبحث عن كفي
والتقتا خلف النجمات المرتعبه
فترامى في عيني خوفي
لملمت اصابعي الحيرى
هربـا منهـا
وغطست ببحر تفاهاتي
كنـا نعـدو ...
وشريط الزمن الهارب يتبعنا
فنلاحقـــه
او نسبق اشرعة القمـــر
فالليل كميناء يحتضن السفن المغتربه
يمنحها امنـا موقوتا
لغد سيضيع بـلا بحر
الكلمة مـا برحت وشمـا
حرزا يلتف علـى طيفك
اخشى من يوم يتمطى
ويضم الى الصدر الاعزل
احلام خريف متسول ..

بغـداد — مي مظفر